الاثنين 31/12/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة التفسير

سورة المرسلات (2)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

فنحن في تفسير سورة المرسلات وهي سورة مكية إلا آية من آياتها فإنها مدنية.

بات معلوماً لديكم أيها الإخوة أن السور المكية تُعنى بتثبيت العقيدة في قلوب المؤمنين حتى إذا صلح القلب صلحت سائر الأعضاء.

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((...أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))، [البخاري].

إذا ركزت بذرة الإيمان في القلب وأنبتت أورثت انضباطاً في الشرع والتزاماً بأمر الله وانتهاء عما نهى الله عنه، فتجدون السور المكية كلها تزرع العقيدة في القلب ومحبة الله تعالى.

بذرة اليمان تزرع في القلب الخوف من حضرة الله تعالى؛ لأن قلبك إذا امتلئ حباً لله وخوفاً من عقابه انضبطت جوارحك بأمر الله عز وجل، أما إذا لم يقودك الحب ولم يردعك الخوف فمن الممكن أن يذهب المرء نحو شهواته.

سورة المرسلات تتحدث عن تثبيت العقيدة في القلب ومن أبرز أركان العقيدة الإيمان باليوم الآخر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، [المرسلات: 7-15].

كما ترون أيها الإخوة الآيات تتحدث عن قدرة الله تعالى في هذه الدنيا، وهذا دليل لقدرته على جمعنا في يوم يحاسب فيه المحسن والمسيء، فالمحسن يحاسب على إحسانه والمسيء على سوئه.

الله عز وجل أقسم، بـ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ .

أقسم لكم يا عبادي أن موعودي واقع والله عز وجل لم يقل سيقع بل قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ فيقيناً موعود الله عز وجل واقع ومن أضخم وأعظم موعودات الله عز وجل ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ، [الغاشية: 25] فرجوعنا إلى الله.

يا أيها الإخوة بلا ريب كل واحد بينكم أخاً كان أو أختاً، شاهداً كان أو سامعاً سيرجع إلى الله، وسيقف بين يديه.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ...**))، [البخاري ومسلم].

فمن الآن استحضر في كل عمل تعمله، وفي كل قول تقوله، وفي كل نية تنويها في داخلك أن هذا القول أو العمل معروض على الله عز وجل.

كلما كتبت رسالة بهاتفك الجوال، أو تعليقاً على الصفحة الشخصية الخاصة بك على صفحات التواصل الاجتماعي، أو كلما اتصلت بهاتفك وتكلمت مع إنسان... فتيقن أن هذه الكتابة وهذا الكلام سيعرض على الله عز وجل وسيطلعك الله عليها يوم القيامة، فإن كان حسناً فأمضه وإن كان غير ذلك فكف عنه من الآن.

الآن بيدك أن تكف عن هذا الأمر أو القول أو النية السيئة، لكن غداً ليس لك من الأمر من شيء.

قال أحد الصالحين: **يا عباد الله إنكم تتكلمون، وسيأتي يوم تصمتون وتنطق جوارحكم ويخرج لأعمالكم ريح، إن كانت حسنة فحسنة وإن كانت سيئة فخبيثة.**

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ فلا تظنوا أن هذا الكلام هو خير في الصحيفة يعتذر عنه غداً، أو أن هذا خبر في قناة فضائية يسحب في اليوم الثاني أو الثالث؛ لأن القائل هو رب العالمين وهو

يقسم، فإذا ما كنتم تَشُكُّونَ في هذا الوقوع فإليكم هذه الوقائع التي تروها في كل يوم وفي كل لحظة في حياتكم ففيها دليل على قدرة الله وإعجازه.

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أي أظلمت.

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ هذه السماء التي تظهر أمامكم كالسقف المحفوظ غداً ستنشق، وتتشقق وتتصدع.

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أي دكت وصارت هباء منثوراً.

﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أي ضرب للرسل وقتاً سيجتمعون فيه من لدن سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فإذا كان الرسل سيجتمعون فمن باب أولى أن يكون كل العباد قادمون.فتخيل ذلك اليوم وكل الرسل والناس مجموعون فيه.

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ في أي يوم ضرب لهم هذا الموعد.

﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ اليوم الذي يفصل فيه بين أهل الحق وأهل الباطل.

يا إخواننا حياتنا على الأرض ليست طويلة واسألوا أبناء السبعين كيف مضت السنوات السبعين فسيقول لك: البارحة أذكر كنا صغاراً في الحي.

يا شباب يا أبناء الثلاثين أو العشرين أو الأربعين هل تتخيل يا ابن الخمس والعشرين أن لك على هذه الأرض ربع قرن. والآن إذا قلنا لك من اليوم لربع قرن آخر ماذا تخطط فستقول: عندي خطط كثيرة. ولو سألناك ماذا عن أحوال الخمس والعشرين سنة التي مضت فستقول: مضت سريعاً، وهكذا ستمر كل الحياة.

حياتنا هي التي سنحياها هناك بعد أن نموت فنعيش في سعادة أبداً إن شاء الله.

كان سيدنا علي رضي الله عنه يقول: **(إنما الغنى والفقر بعد العرض على الله)**.

فتعالوا في كل تصرف نتصرفه، وبكل عمل نعمله نراقب أننا راجعون إلى الله عز وجل، فإذا كان هذا القول أو العمل أو النية مرضية لله عز وجل فأمضوها وإلا فلا.

ما الذي يرضي الله عز وجل؟ ثلاثة أمور ترضيه جل وعلا:

1- تركنا للحرام:

الحرام يا إخواننا سم يفسد إيمانكم، فكل الأعمال الصالحات التي تعملون وكل الخيرات التي تبذلون وكل الكلمات الخيرات التي تقولون يفسدها إصرار المرء على الحرام.

كان يأكل الحرام، والآن يأكل الحرام، وما زال مستمراً بأكل المال الحرام.

كان له علاقة مع فتاة بالحرام، والآن له علاقة معها بالحرام، وينوي أن يستمر بذلك.

كان يشرب مسكراً حرمه الله، وما زال يشرب، وينوي بالاستمرار في الشرب، مع أنه يصلي، ويحضر في المسجد، ويتصدق على أيتام، ويفعل الخيرات إلا أن هذا الحرام الذي أصر عليه سيفسد إيمانه.

أرأيتم مزارعاً عنده بقرة تحلب له في كل صباح عشرين لتراً من الحليب، وفي كل مساء مثلهم حتى إذا جمع الحليب كله جعل فوقها واحد سنتيمتر مكعب من السُّم، فما الذي حصل للحليب؟ كله إلى الرمي.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ((**كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ, فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ, فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ, فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ**))، [رواه البخاري].

وبرواية: **قال له أبو بكر: أُفٍّ لك كدت أن تهلكني فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج فقيل له إن هذه لا تخرج إلا بالماء فدعا بعَسٍّ (وعاء) من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟! فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ))، فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة.**

[أبو نعيم في الحلية].

ومن الكهانة:

أ. القراءة بالكف.

ب. قراءة الأبراج.

ت. علم الأحرف الذي يخبرونك به باسمك واسم أمك واسم زوجتك المستقبلية.

2- **إتقان الفرائض:** ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ)). [البخاري].

الفرائض: الصلاة والصوم والزكاة والحج من استطاع إليه سبيلاً، وبر الوالدين والرعاية للزوجة والأولاد.

قال أحد الصالحين: **لقد حججت واعتمرت مرات ومرات وجالست أفذاذ العلماء والأولياء فما وجدت أشرح لصدري ولا أنور لقلبي من قول والدتي: رضي الله عنك.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ))، [مسلم].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا))، [البخاري].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))، [مسلم].

3- **أداء ما استطعت من النوافل:**

عَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: 92] **، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ, قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ**

رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ: وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ))، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ، [البخاري].

نحن نريد أن نعمر الدنيا لكن نريد أن نعمر الآخرة أكثر.

نحن في الأزمة وخارجها عملنا هو ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعنا من النوافل.

فرصة كبيرة بالأزمة أن تنفق مما تحب، وأن تجبر خواطر العباد، وأن تساند الناس، وأن تدخل السرور على قلوب المؤمنين، وأن تزداد قرباً من الله عز وجل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ .

يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

فهذا وعد والله حلف.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ .

مستعد أن يصلي ما تريد من الركعات، لكنه غير مستعد أن ينفق قرشاً واحداً؟

اليوم جاءني مريض فسألته: ما تشكو من أمراض؟ فقال لي: لدي مشكلة في القلب وسكري وضغط وعندي رصاصة أيضاً، فقلت: ماذا تعني برصاصة؟! فقص علي حادثة جرت معه فقال:

صليت العشاء ثم جلست على الشرفة أذكر الله، وقد شعرت لأول مرة أنني ألتجئ إلى الله التجاء شديداً وفي أثناء ذكري كنت أسمع شيئاً من إطلاق النار لكنه بعيد فلم أخف، ثم استيقظت في الساعة العاشرة ليلاً وكأن شيئاً فِيَّ قد انفجر ووجدت الدم يملأ ثوبي وأشعر بأن شيئاً قد دخل في رقبتي، فصرخت.. فجاءت زوجتي وابني ورأيا الدماء حولي، ويدي لا تتحرك، فأخذاني إلى المشفى، وفي المشفى قالوا: لا يوجد شيء ربما شظايا وقعت عند الرقبة.

فرجعنا إلى البيت لكن ما زلت أشعر بآلام شديدة في داخل صدري.

وفي اليوم الثاني ذهبت لمشفى أخرى، وصورنا طبقي محوري وإذ بهم يجدون رصاصة دخلت من رقبتي باتجاه قلبي واستقرت وراء القلب.

والعجيب أنه جاءني اليوم يمشي على رجليه ولا يشكو شيئاً، والرصاصة الآن مستقرة بين قلبه وعموده الفقري، وقرر الأطباء أن لا يخرجوها لأنها مستقرة.

قال له الطبيب: لو أن الرصاصة انحرفت أجزاء من السانتي لكنت من عداد الأموات، ولو أن هذه الرصاصة مالت أجزاء من السانتي لمرت في القلب وأذهبته، ولو أكملت باتجاه العمود الفقري لأصابتك بشلل؟

لا حامي إلا الله أبداً على الإطلاق فدعونا في كل تحركاتنا إن عشنا وإن متنا أن ننضبط هذه الثلاثة.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ .

يقول الله ذلك لرسّول الله ومن بعده لكل المؤمنين.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ هناك هلاك عظيم وعذاب عظيم لمن كذب بهذا اليوم.

قال الله ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ولم يقل: للكاذبين فما الفرق؟

الكاذب: هو اسم فاعل من فعل ثلاثي كذب فهو كاذب.

مكذب: اسم فاعل من فعل رباعي كذَّب، أي يكذب مرة وراء مرة فكلما سمع من يذكره ويعيده لجادة الصواب يكذبه.

فهو مصر على كذبه وعناده فهو كذَب وكذَب حتى صار كذَّب فقال الله: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

يا إخواننا أحياناً تكون تسير باتجاه خطأ فتحضر في خطبة أو درس فيجري أمامك واقعة عينية فيذكرك الله فإن استجبت فأنت مصدق، وإن لم تستجب فأنت تكذب.

إذا تكرر من الإنسان التكذيب صار مكذب والله يحلف لك أن ما توعدون لواقع فليحذر أحدنا أن يكون مصدقاً بلسانه ومكذباً بعمله، فبلسانه يقول: صدق الله العظيم، لكن بعمله يقول غير ذلك.

لديه علاقة غير مشروعة مع فتاة وقد حضر خمسين درساً، ويعاد نفس الموضوع وما زال على علاقته فلا تهلك نفسك ومن حولك بإصرارك على الذنب.

رجل تزوج وما زال يقيم علاقة غير مشروعة مع امرأة غريبة، ولا يزال على حاله، انتبه فالله الآن يسترك لكن إذا فضحك فسيبكيك دماً.

يعتدي على أموال الآخرين بالحرام وربما يتزين أمام الناس بزي جميل جداً، وربما يلبس القبعة البيضاء والكلابية ويظهر وكأنه ملك من الملائكة، فالله يرسل له إشارات وتنبيهات ومن يذكره فإن لم يستجب فنخشى أن يحاسبه الله بطريقة أخرى.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.